

كيف أعاد الصندوق الأسود للصحافة رشدي أباطة إلى الحياة؟!



07 سبتمبر 2018 - 19:32

كتب_أمني عزام

لست من عشاق قراءة مقالات الرأي، ولا من المهتمين بمتابعتها ولكن منذ فترة ليست بالبعيدة لفت انتباهي كاتب مُتكرر ينشر مقالاته بصورة كرتونية مستخدماً اسم "رشدي أباطة" على صفحات جريدة روزاليوسف التي انتشر بانتماي لها، الكاتب الذي يُصر على أن يبقى شخصاً مجهولاً للجميع، إذ لا أعرف عنه أنا وزملائي سوى أنه يعيش في حي الرمل بالإسكندرية وخرج على المعاش المبكر بعد أن كان مسؤولاً تحريرياً بالأهرام بحسب ما روى في إحدى مقالاته، أصبح حديث الصباح والمساء داخل وخارج أروقة المؤسسة إذ يصفونه بالصندوق الأسود للصحافة.

الكاتب الذي استعان باسم الفنان القدير رشدي أباطة ربما لسرعة لفت الأنظار إليه استطاع في فترة وجيزة أن يُصبح خليفته في النجومية، فالجماهير الغفيرة التي كانت تتهافت على شباك السينما لمشاهدة أفلام الدونجوان الراحل ربما تقارب أعداد القراء الذين بانتوا مقالات رشدي أباطة الكاتب، بعد أن أصبح موضعاً لإثارة الجدل، وبوصلة ومؤشراً حقيقياً للأحداث التي ستطفو على الساحة.

"أباطة" الذي ذاعت شهرته بعد نشر مقالاته على صفحات جريدة روزاليوسف، استمد شعبيته وأهميته من استحداث منهجية جديدة في عالم الكتابة يمكن تسميتها بـ "الترافيك الواقعي" واتمنى ان أكون قد وفقت في وصفي لأسلوبه، ففي الوقت الذي تتسارع فيه المواقع والصحف وكتاب المقالات على حصد الشهرة وزيادة نسبة القراءات عبر بث ونشر محتويات الترافيك السطحية التي ربما تعتمد على نشر الفضائح الجنسية، أو العلاقات الثنائية بين المشاهير، أو غيرها من المحتويات التي لأتغني ولا تشمن من جوع ولكنها تلقى اهتماماً كبيراً لدى قطاع كبير من المتابعين خاصة فئة المراهقين من رواد السوشيال ميديا، اعتمد أباطة أسلوباً جديداً في الكتابة يجمع ما بين مواضيع الترافيك التي تحظى باهتمامات كبيرة على الساحة وبين المصادقية التي باتت مُعدمة في معظم كتاب الجيل الحالي.

منهجية الكاتب الجديدة قائمة على نشر وتسريب وتفجير موضوعات ومعلومات وقضايا ووقائع حقيقية حدثت أو ستحدث لكنه استبق الجميع في الحديث عنها والتتبؤ بها أو كشف مُلابساتها وكواليسها، كما تناول موضوعات وأزمات حالية بشكل يختلف عن كل الذين تناولوها في السابق، فهو الكاتب الوحيد الذي تحدث بجرأة عن ضرورة تغيير

النخبة في مصر بنخبة جديدة شابة تفرزها المواقف والتجارب الواقعية، نخبة تليق بعظمة وتاريخ مصر، وتكون قادرة على العبور بالبلاد إلى الأفضل في كل المجالات سواء كانت سياسية أو ثقافية أو فنية أو اقتصادية.

ففي مقال له بعنوان "نخبة للبيع" كشف أباطة تفاصيل اعتذار مطرب مصري شهير للدولة عن المشاركة بمجموعة أغان بعدة لغات في افتتاح مشروع قومي عملاق عالمي حضره رؤساء وزعماء من مختلف دول العالم بحجة أنه لا يريد الدخول في السياسة وكأن الغناء في افتتاحات المشروعات الوطنية الخاصة بتنمية بلادنا أصبحت سياسة، أباطة كشف أيضًا أن المطرب ذاته أحيانًا حفل «بلايستيشن» لثرى عربي وغنى في ألبومه الأخير من كلمات هذا الثرى مقابل آلاف الدولارات قيل أنها مليوني دولار.

في المقال ذاته كشف الكاتب كيف حصل باحث شهير على أموال كبيرة عقب ثورتي يناير ويونيو، أنفقها على تجنيد النخبة السياسية والإعلامية لصالحه وبالفعل عمل معظم السياسيين والإعلاميين في مشروعه البحثي والإعلامي بعد أن أهدق عليهم الأموال وصار نجما سياسيا، كما تناول كيف ظهر ثرى خليجي محترم ومُفعم بالحيوية لكنه مشاغب بحسب وصف الكاتب له، ثم تجمعت حوله ثلاث نخب مصرية وهي الرياضية والإعلامية والفنية ونشبت معه أزمات كبيرة كان سببها الرئيسي إهداق الأموال التي خضع لبريقها الجميع.

كما تطرق الكاتب إلى إعلامي شهير رفض طلب إدارة العمل بالاستمرار في عمله رغم أنه كان يتقاضى مبالغ طائلة إلى أنه طلب المزيد والمزيد ثم سقط أمام «أونر» ثرى واهبًا نفسه لمن يدفع أكثر.

استمرارا لكتابات أباطة الجريئة نشر الكاتب 4 مقالات تحت عنوان "النخبة الوهمية"، تحدث خلالها عن الفساد الإعلامي والسياسي، وفضح البطولات الوهمية الزائفة التي ينسبها بعض الإعلاميين والسياسيين لأنفسهم أمام الجمهور لينبهر ببطولاتهم المجانية لمجرد استمعاة بمتابعة حالة الصراع الوهمي مع الدولة رغم أن أصحابها ضيوف دائمون على المكاتب المغلقة للأجهزة الأمنية لطلاب وساطات وامتيازات شخصية، فهم يقدمون أنفسهم مناضلين أظهارًا للجماهير ثم يتبنون صناعة الصراعات والصدامات بين الدولة والشوارع الصناعة جدل مجتمعي يستفيدون من خلفه.

الكاتب فضح كيف وهب من يسمون أنفسهم بالثوار والنشطاء أنفسهم لمن يدفع أكثر، مناضلون أول النهار ودولية في آخره، مؤكدًا أنهم يعملون حسب الطلب يقفون مع الدولة تارة، ومع الإخوان تارة أخرى، وفي صفوف المنظمات الدولية مرات ومرات ضاربًا المثل بعدة أسماء ذكرها في كتاباته مثل شاب يدعى محمد الدسوقي رشدي، وسيدة تدعى غادة الشريف، كما تحدث عن تورط بعض الإعلاميين والسياسيين في دعم جماعة الإخوان الإرهابية مقابل أموالًا تدفع لهم لتشويه فكر ومعتقدات الرأي العام جميعها موقعة بتسجيلات هاتفية.

وفي مقال بعنوان "نخبة المهجر" شرح الكاتب كيف فضل بعض الكتاب والسياسيين والإعلاميين العيش في منفى الغربية ومهاجمة الوطن مقابل حفنة من الدولارات على حياة كريمة في وطن يعي ويقدر قيمة أبنائه.

أباطة الوحيد الذي نصر الإعلام وانتصر لشباب الاعلاميين الجادين عندما كشف زيف وتدليس المنتفعين الذين أساءوا للمهنة بممارساتهم المشوهة ومواقفهم المتلونة وفق أهوائهم مؤكدًا أن الدولة تُخطئ عندما تعاقب المهنة، فيجب عليها معاقبة الإعلاميين وليس الإعلام وعدم الخلط بين العقوبتين، مشيرًا إلى أن بعض الممارسات التي قام بها نجوم المهنة جرائم لا تسقط بالتقادم تدفع ثمنها المهنة منذ عام ٢٠٠٠ عندما دخل الإعلاميون في لعبة إسقاط الدولة، بعد أن غلبت شهوة النجومية لديهم الانضباط والمهنية والمسئولية والوطنية وتغليب استقرار الدولة.

الكاتب المُتكرر اعترف بجرأة أن الإعلاميين الذين كان ينتمى إليهم قبل خروجه على المعاش المبكر كانوا أهم أدوات هدم الدولة إذ قال في مقال بعنوان "عن الإعلام والإعلاميين": "يحز في نفسى الحديث عن مهنتى العظيمة وأهلها، يؤسفنى الاعتراف بأننا كنا جزءا كبيرا من أزمة مصر فى المقابل يجب ألا تأخذ الدولة مهنة الإعلام بجريرة

هؤلاء، مهنة الإعلام أمن قومي، قوة ناعمة عظيمة لمصر والمصريين، معاقبة المهنة أيضا جريمة".

استمر الكاتب في فضح الكثير من ممارسات الإعلاميين غير المشروعة من خلال سلسلة مقالاته إذ قال أن أحدهم بلغت ثروته ٦٠ مليون جنيه في ٨ سنوات فقط كان قبلها مجرد مُحرر في مجلة أسبوعية قومية، كما أن إعلامية شهيرة اعتزلت الميديا السياسية انكشفت في لحظة حقيقية عقب ثورة يناير عندما رفع عنها أحد الضيوف غطاء المهنية والإنسانية، مؤكداً أنها لن تستطيع العودة إلى السياسة، كما تحدث عن إعلامي شهير يتراش تحرير صحيفة كان يحصل على راتب شهري طوال ٦ سنوات من مكتب الإرشاد تحت مسمى باحث، وكذلك مسئول بإحدى الجهات الإعلامية الرسمية المهمة، وآخر كان يتاجر مع شركات الأدوية يروج لها عقاقير الدواء سيئة السمعة لكن الدولة أوقفت حيله الماكرة، وإعلامي آخر حصل على مال وفير من سفارة دولة أوروبية تحت مسمى باحث قدم أبحاثاً مشبوهة، وصحفي آخر شهير لديه ثروة عقارية تخطت ١٠٠ مليون جنيه تحصل عليها من التوسط في تراخيص الهدم، مؤكداً أن معظم الجهات في الدولة باتت تحتقر الإعلام والإعلاميين بسبب هؤلاء.

وفي مقال بعنوان "خيرى رمضان يعظ" أسقط رشدى أباطة القناع عن الإعلامى خيرى رمضان، وكشف بالتفصيل كيف صنع الأخير ثروة طائلة من وراء مواقفه المتلونة وعلاقاته القائمة على المصلحة مع كل الفئات والأطراف دون تمييز،

وفي مقال آخر بعنوان "الراقصة والجلاد" تحدث فيه بجرأة غير معهودة عن التجاوزات الكبيرة التي ارتكبتها الكاتبة الصحفي مجدى الجلاد ورفاقه بعد صعودهم على جثث أساتذتهم وزملائهم بحسب وصف الكاتب، مشيراً إلى أنهم قاموا بتعيين أفراد أمن وسكرتارية ومدرسون وتوريث أبناء وزوجات الأبناء وذوى زوجات الأبناء والأقارب والمحاسبين، واستغلوا الوساطات والمحسوبيات وعلاقاتهم برجال الأعمال في الثراء السريع لافتاً إلى أن أحدهم كان يعيش في شقة عام ٢٠٠٦ داخل حي فيصل انتقل إلى قصر منيف بالشيخ زايد وقصر آخر فى التجمع الخامس فى ٢٠١٢، ومن سيارة متواضعة وحيدة عام ٢٠٠٦ إلى نصف أسطول سيارات جلفا فاره عام ٢٠١٢، كما كشف أن ممارسات "الجلاد" وتعاونها مع جميع الأطراف وتقلبه بين جميع الجنبات كانت سبباً رئيسياً في غضب الدولة من الإعلام والإعلاميين.

وقبل الإعلان عن بيع مجموعة قنوات (سي بي سي) والذي ينعكس بدوره على البرامج المذاعة فيها وكواد العمل الموجودة بها آثار أباطة الجدل بنشره مقال بعنوان "اعتزال لميس الحديدى" أكد فيه أن الإعلامية التي اختار جون كاسن السفير البريطانى فى القاهرة أن تكون إطلالته الأخيرة من خلالها هي أيضاً في نهاية رحلتها الإعلامية، بعد أن انفضت تقلباتها الإعلامية وتاجرت بالشباب وقضاياهم، لذلك عليها أن تتسحب الآن من المشهد لصالحهم حسب قوله، كما أكد أن البعض من هؤلاء الذين غابوا عن الشاشات ستتم محاسبتهم فى وقت معلوم على بعض المخالفات الموثقة لدى أجهزة الدولة.

وفي مقال بعنوان "محمد رمضان المتهرب نمبر وان"، تناول أباطة أزمة الفنان المصري محمد رمضان بشكل مختلف عن جميع الكتاب والصحفيين ورواد السوشيال ميديا، مشيراً إلى أن الفنان الذي يتباهى بثرواته وممتلكاته وسياراته الفارهة مُتهرب من جمارك السيارات ومديون لها بمبلغ لا يقل عن 25 مليون جنيه تقريباً، لم يدفعها فى الوقت الذى يتقدم فيه لشراء رقم 1 بـ 19 مليون جنيه.

وفي مقال جريء بعنوان "ميدو القطرى" انتقد الكاتب المقارنة الظالمة التي يُقارن فيها البعض بين اللاعب الاسطورى محمد صلاح واللاعب أحمد حسام «ميدو» مؤكداً أن صلاح صار أيقونة عالمية بينما تاريخ ميدو كله فى أوروبا يساوى تاريخ مباراتين فقط من مجد صلاح فى نادى فيورنتينا الإيطالى، أو بازل السويسرى.

الكاتب لم يكتف بذلك فحسب فقد فضح بيزنس "ميدو" المغموس بالدم فى قطر حسب وصفه، وكيف أن اللاعب السابق يعشق المال حد التجاوز فى حق دماء الشهداء إذ كان يعمل فى قناة الجزيرة ويطالب بضرورة المصالحة مع دولة قطر التي شاركت فى قتل الشهداء المصريين بالتحريض والتمويل والدعم، كما يُصادق مسئولها فى الوقت الذى تنتج فيه إمارة الشر والإرهاب فيلما وثائقيا إجرامياً عن سيناء تُناصر فيه الإرهابيين والقتلة، ثم يعود من جديد ليعمل فى قناة بيراميدز السعودية فى الوقت الذى تعد فيه المملكة واحدة من أبرز دول المقاطعة القطرية.

بغض النظر عن الأسماء التي ترد في مقالات الكاتب والآخرين الذين يكتب عنهم تلميحات تجعلنا نتعرف عليهم تارة، أو يُثير فضولنا بالبحث عنهم تارة أخرى، وبغض النظر عن صحة ما يكتبه من عدمه إلا أنه نجح في الدخول إلى عالم الترافيك بسرعة، فرشدى أباظة لم يعد يمثل بالنسبة لنا مجرد مقال ينشر على الورق ولكننا ننظر إليه على أنه الصندوق الأسود لما جرى من أحداث وبوصلة لما سيجرى من أحداث، صحيح أنني لا أعرفه شخصيًا ولكن فضولي يدفعني للبحث عن هوية هذا الكاتب الثرى لذلك أردت أنوه عنه وعن مقالاته التي يكتبها ربما يجد البعض ضالتهم في كتاباته التي أصبحت علامة من علامات روزاليوسف.